

الجرد الوطني للتراث الثقافي الأمازيغي

بطاقة جرد عنصر رقم 7/002

1- تحديد العنصر

- إسم العنصر

مرقوم وذرف

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلي

لا توجد

- الإطار الجغرافي لانتشار العنصر



يعتبر النسيج التقليدي من الصنائع الشائعة في كل أرجاء العالم وهو من العوامل الكبرى للتراث المادي وغير المادي وهو ممارسة متداولة ببلادنا وفق نوعين من النول أحدهما عمودي و الآخر أفقي. أما صناعة المرقوم فتعتمد نولا عموديا وهي منتشرة في مناطق عدة من جهة قابس كمطامطة و تونين وتشيين و توجان و غيرها . لكن على النحر الذي تمارس به في منطقة وذرف فتعد الأكثر إنتاجا و جودة مما جعلها مصدرا لشهرة للبلدة.وقد أشاد عديد المستشرقين في الفترة

المعاصرة بهذا النشاط الذي يعد مهارة متوارثة ومرتبطة بعدد الأنشطة التي تتعاطاها المرأة داخل بيتها وفقا لنظام تقسيم العمل الاجتماعي في المجتمع التقليدي. و كتعبير عن أهمية هذا الفن الحرفي أحدث أهالي الجهة منذ ما يزيد على الثلاثين سنة مهرجان سنويا للمرقوم اعترافا بالمكانة التي يحتلها في ذاكرتهم الجماعية والتي لازالت أثارها موجودة حتى اليوم.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

المهارات المرتبطة بالحرف التقليديّة

2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

تعتمد صناعة المرقوم الصوف كمادة أولية و ينجز وفق نول عموديا من الخشب. كما تعتمد تقنية تقاطع خيوط اللحمة مع خيوط السدي وفق طريقة تسمى الربط الدائري.

قبل الشروع في التسدية تستهل الناسجة عملها بعدد العبارات درءا للعين و أملا في أن يكون السدي طالع خير و بركة: "يا منصور ويا مجبور ويا بعاد كل شرور ، المريض يبرى، والبعيد إيجي، إنشاء الله مبروك سعيد، ونشاء الله خفيف نظيف، أخف من النار في الليف، يا محمد ويا علي، والصلاة عالنبى، النصر والجبر، محمد وعلي حاضرين". تردد المرأة هذه العبارات و يدها ممسكة ببعض البخور الذي ترميه وسط الكانون فتنبعث في المكان رائحة طيبة. ثم تضرب أربعة أوتاد في الأرض بواسطة مطرقة حتى تثبتها جيدا. فتمرر حينئذ خيوط الجداد حولها بشكل متقاطع و تربط كل ثلاثة خيوط تسمى "قندي" مع بعضها البعض، وتكون العشرة أزواج من "القندي" ما يعبر عنه "الملزم" أي ستون "جدادا". ثم تضع الناسجة علامة سوداء على الجداد عند نهاية كل ذراع تسمى "السفراسي" حتى تتمكن من تحديد مقاسات القطعة المراد نسجها: "طية السفراسي يا محلاها و الفالحة قبل الغدى تملها".

بعد الانتهاء من التسدية، تنزع الأوتاد من الأرض فتحرص المرأة أن لا تختلط خيوط الجداد ببعضها البعض، ثم تثبت "المطرف" في الجانب السفلي للسداية أفقيا بخياطة الجداد المجمع مع خشبة المنسج السفلية بخيوط. و إثر ذلك تقوم بتثبيت إحدى القوائم بين فتحة الخشبة السفلية من اليمين والأخرى من اليسار وفي الأعلى تربط الخشبة العلوية ثم تربط القائمتين بحبلين يثبتان في الجانب العلوي من الحائط المتوازي مع السدي حتى يحافظ على توازنه.

بعد الانتهاء من عملية نصب السدي تقوم الحرفية بلف خيوط "النيرة" التي تتحكم في "الخبال" حول "المطرف" و"عصاة النيرة". وقبل الشروع في حياكة المنسوج تتعمد ترك مقدار عشرون سنتيمترا تخصصها للشراريب. ثم تشرع في الحياكة فتمرر خيوط اللحمة الواحد تلو الآخر بين خيوط السدي ثم تنزل بهذه الخيوط باستعمال "المروء" من الأعلى إلى مكانها في الأسفل ثم تضربها "بالخلاله حتى تلتحم مع بعضها البعض فيصبح المنسوج متينا لا تتخلله فراغات.

يحلّي المنسوج بزخارف هندسية أو "رقمات" متعددة الألوان تحصل عليها من خلال التحام خيوط اللحمة أو الطعمة ذات الألوان المختلفة مع بعضها البعض. و يتعدد الألوان تعددت أشكال الرقعات والتسميات، أكثر من 80 رقمة تحمل كل منها اسما محليا خاصا بها. وهكذا فان العمل يقوم على التذكر وعلى الحضور الذهني للمرأة التي تقوم في كل مرة بسلسلة من الحركات المتواترة والمنظمة لحين إتمام القطعة المراد نسجها. فتحل رباط القوائم ثم تقص الجداد بعد ترك مقدار عشرة سنتيمترات للشراريب، و ما بقي ناتئا من خيوط الصوف في قفا المنسوج.

نخلص إلى القول أن المرأة الودرفية تمكنت بطرق يدوية بسيطة (و أيضا معقدة لأنها تشترط كثيرا من الدربة و المعارف و التركيز الذهني) من صنع عديد المنسوجات التي يمكن اعتبارها إبداعات فنية تقف كالبشت" والوسادة و"الحنبل" والبطانية، و"الكليم مرقوم" و"الكليم منازل"، و"كليم جندار"، و المرقوم إضافة لعديد الابتكارات التي تواكب العصر و التي تشهد على أن المعارف و المهارات المرتبطة بالعنصر تتجدد وهي كغيرها تراث حي .

- العناصر المادية واللامادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

لا تحتاج صناعة المرقوم إلى أدوات مادية أو رمزية خاصة، فيكفي توفر المواد الأولية كخيوط الصوف و السدي و آلة النول و"خلالة" و مروء من خشب أو من حديد، حتى تتمكن المرأة من حياكة منسوجها وممارسة ما تعلمته من أمها من معارف ومهارات.

أمّا "السداية" فتثبتها الناسجة إما في السقيفة أو وسط الدار أو تخصص لها غرفة من الغرف، فتجلس المرأة قبالتها الساعات الطوال، مسندة ظهرها إلى الحائط. و بأدوات تقليدية بسيطة تصنع ما

تحتاجه من
غطاء و فراش و غيره، فتضرب المنسوج "بالخلالة" وتداعب خيوط الصوف "بالمروء" حتى تلتحم مع بعضها البعض، وتراقب من وراء النول كل ما يجري داخل بيتها في حين تحجبها خيوط السدى عن الناظرين. و تصاحب الممارسة أحيانا مآثورات شفوية تعكس أهمية هذه المهارة من ذلك نذكر:
مراقيم وذرف باهية صنعتها يحجب على الإيديين إلي نقشتها
وكذلك بعض الأغاني الشفاهية المثمنا لهذا العنصر :
اخلاله اخلاله
يا رني
اخلاله اخلاله
مسمح فده واخياله
يا رني
اخلاله اخلاله
مرقوم اجديد أو زربية
يا رني
اخلاله اخلاله
الغالي ما ظل علي
يا رني
اخلاله اخلاله
لحباب الكله فرحانه
يا رني
اخلاله اخلاله
كان قلبي عايش في محنه
يا رني
اخلاله اخلاله
مرقوم اقطعته أو نورته
يا رني
اخلاله اخلاله
للغالي خليته هدية
يا رني

- الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات أو إجراءات من هذا القبيل

- كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنأشنة

كان تعليم صناعة المرقوم يتم داخل أسوار البيت باعتباره جزءا لا يتجزأ من التنشئة الاجتماعية في المجتمع المحلي. فاكتماب هذه المهارة صفة مهمة لحصول الفتاة على زوج المستقبل :

خوذ المرى الرقامة تعليق بين الرجال شبر و قامة

واستجابة لقوانين العرف تعلم الأم ابنتها كل ما تعلمته هي بدورها من أمها من معارف. فتلقنها مبادئه دون ان تستند عند ممارسته لا على صور ولا على نماذج أو نقل تقوم بمحاكاتها بل على التذكر، تذكر كل ما تعلمته من أمها منذ نعومة أظافرهما - منذ سن العاشرة أو الحادية عشرة- من معارف وحركات

مسترسلة و مترابطة لحين إتمام القطعة المراد صنعها.

غير أننا نشهد اليوم تغيرا لافتا في القيم فأصبح تعلم هذه المهارة شيئا ثانويا نظرا لعدة أسباب ربما أهمها تخلي عديد الفتيات عن امتهان هذه الحرفة لقلة مواردها و ميل بعضهن إلى التعلم ونيل الشهائد العلمية وبالتالي الانخراط في مجالات عمل أخرى أوفر دخلا.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

كل النساجات اللواتي يباشرن بأنفسهن هذه المهارة في مختلف مراحلها و عددهن حاليا حوالي 370 حرفية.

- مشاركون آخرون

ربما لا يتجلى بوضوح دور الرجل بطريقة مباشرة في استدامة هذا النشاط الحرفي باعتباره مهارة نسائية إلا أن هذا الأخير لا يزال يشجع المرأة على مزاوئته و تطوير منتوجاته برغم جل التهديدات التي يعيشها ، ذلك انه يساعد زوجته أو أمه أو غيرها في شراء كل ما تحتاجه من مادة أولية سواء من شركة زرابي و ذرف أو من أسواق مدينة قابس العتيقة..
ومن اللافت أيضا حضور عنصر رجالي وحيد في ممارسة العنصر، يعرفه معظم أهالي البلدة ويشهد له بالكفاءة وهو السيد الفيناوي قايد، الذي يعد من المراجع الأساسية للعنصر في البلدة.

- منظمات غير حكومية/ المجتمع المدني

370 حرفية ناشطة بصفة دورية، بعض التجار أصيلي الجهة (حوالي 4)، شركة زرابي و ذرف، جمعية دار المرفوم ، جمعية مهرجان المرفوم، و جمعية التنمية المستدامة بوذرف، و جمعية الفردوس بوذرف

- هيئات رسمية

- دار الثقافة بوذرف
- دار الشباب بوذرف
- المكتبة العمومية بوذرف
- المدارس الابتدائية بوذرف
- نادي الاطفال بوذرف
- المندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث بقابس
- المندوبية الجهوية للصناعات التقليدية بقابس
- ولاية قابس
- المعهد الوطني للتراث
- الديوان الوطني للصناعات التقليدية
- المركز الوطني للابتكار و الجودة في مجال النسيج المحفوف بتونس
- المركز المحلي لمراقبة الجودة بوذرف.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

يشهد العنصر تراجعاً كبيراً في مستوى الإنتاج في السنوات الأخيرة حيث تقلص من 18 ألف متر مربع في تسعينات القرن الماضي إلى حوالي 7 آلاف متر مربع حالياً. كما تراجع عدد الحرفيات اللاتي يضطلعن بهذا النشاط بصورة مسترسلة من 1500 حرفية سنة 1970 إلى حوالي 370 حالياً. ويمكن تفسير ذلك بعدد المشاكل التي يواجهها القطاع لعل أهمها تهميش دور الحرفة التقليدية و غلاء المادة الأولية و رداءتها في بعض الأحيان و انخفاض سعر البيع و ضعف المردود المادي و قلة فرص ترويج المنتج إضافة لارتفاع نسبة التمدرس الذي فتح أمام الفتاة فرص عمل أكثر دخلاً .

5- برامج التثمين وإجراءات الصّون

حظي العنصر باهتمام لافت خاصة منذ بدايات النّصف الأوّل من القرن العشرين حيث تناولته بالدرس عديد المستشرقين على غرار كوستيلا و جاك ريفو و بوانسو و اندري مارتال وغيرهم فظهرت دراساتهم لتوثيق المعارف والمهارات المرتبطة بعنصر النسيج اليدوي بشكل عام مع الإشادة بأهمية صناعة المرقوم بوزرف و مهارة صانعاتها و حذقهن للصباغة الطبيعية التي تجلب جل موادها الأولية من واحة البلدة. فيما ركزت بعض الدراسات الأخرى على ضرورة توجيه منسوجات المنطقة نحو السوق بعد أن كان موجهاً لتحقيق حاجيات الأسرة خاصة مع إحداث أول مركز جهوي يعنى بالحرف والفنون التقليدية في جهة قابس فشجع الحرفيات على تنويع ألوان منتجاتها التي كانت مقصورة في البداية على ثلاثة ألوان (الأحمر و الأسود و الأبيض) و أكد على ضرورة الترفيع في الجودة ليسهل ترويج المنتج.

وتواصلت مجهودات الاهتمام و الإلمام بالمعارف المرتبطة بالعنصر ضمن إطار "مشروع الحرف التقليدية" حيث قام فريق من المعهد الوطني للتراث سنة 2008 بتوثيق مفصل وشامل لعنصر النسيج اليدوي في جهة قابس و أيضاً لمرقوم ووزرف ، مع محاولة رصد التغيّرات التي طرأت عليه وما يواجهه من تهديدات. كما أجريت عديد الدراسات من قبل طلبة المعهد العالي للفنون و الحرف بقابس بمناسبة تربص نهاية التكوين هي حالياً محفوظة بمكتبة المعهد .

وبهدف صون العنصر، والعمل على استدامته وحل مشاكل الترويج يتولّى ديوان الصناعات التقليدية، عبر هياكله الوطنية و الجهوية الإشراف (فنيا) على مشروع إنشاء قرية حرفية بوزرف ممول من القطب التكنولوجي بجهة قابس علما و أن الانطلاق في هذا المشروع سيتم قبل موفى السنة الحالية 2016.

وفضلا عن برامج الهياكل الرسمية الجهوية والمحلية، سيما دار الثقافة و دار الشباب و المكتبة العمومية و نادي الأطفال بوزرف التي ما فتئت تنظم التظاهرات و المعارض للتعريف بالمرقوم و بالمكانة التي يحتلها في تراث الجهة . تبدي بعض الجمعيات اهتماما كبيرا لهذا العنصر و بضرورة صونه نذكر منها خاصة جمعية دار المرقوم الصادرة بالرائد الرسمي للبلاد التونسية تحت عدد 41 بتاريخ 5 افريل 2012 والتي تأسست بغية التصدي لعديد التهديدات التي يعاني منها العنصر و من أهدافها نذكر المحافظة على الحرفة، التشجيع على الابتكار و التجديد، فتح المجال أمام خريجي المعاهد العليا للفنون و الحرف، الإحاطة بالحرفيات و تأطيرهن، إحياء بعض المنسوجات المندثرة، بعث مدونة خاصة بالمرقوم، المشاركة في المعارض جهويا ووطنيا و دوليا، ربط علاقات شراكة مع الأطراف المعنية، إحداث متحف خاص بالمرقوم.

ونشير إلى أن الجمعية حرصت منذ حصولها على التأشيرة إلى إقامة ندوة سنوية للعنصر بهدف تشخيص واقعه و البحث عن الحلول و أيضا توثيق كل المهارات و المعارف المرتبطة به. كما أعدت برنامج نشاط يمتد على ثلاث سنوات (2017-2020) نجحت من خلاله في إقناع الأطراف المعنية للمساهمة في تمويله على غرار وزارة الثقافة و الديوان الوطني للصناعات التقليدية و المركز الوطني للابتكار و الجودة في مجال النسيج المحفوف بتونس (انظر برنامج نشاط الجمعية المصاحب لوثيقة الجرد).

يهدف هذا البرنامج إلى تكوين فتيات في الحياكة، و تحسين المستوى المهاري لأخريات، و تكوين

في الصباغة الطبيعية و غيرها و ذلك بغية تطوير عدد الناسجات و تحسين نوعية الإنتاج و تنميته. ونشير فضلا عن ذلك إلى شروع الجمعية في إحداث تعاونية تجمع الحرفيات لا تزال لحد الساعة في طور كتابة قانونها أو الأساسي قبل المرور بمختلف الإجراءات الإدارية. هذا إضافة لبعث نادي تراث بالمدرسة الابتدائية بسيدي عبد الرحمان بوزرف بهدف تمكين صلة الناشئة بتراثهم و خاصة بنشاط المرقوم. وقد كان لهذا النادي عديد الأنشطة المثمنة للعنصر لعل أبرزها اليوم الوطني للباس التقليدي (16 مارس من كل سنة) و الاحتفال بشهر التراث السنوي .

وفي باب تثمين مكانة المرقوم في المخيال الجماعي لسكان الجهة و التعريف بهذا العنصر سواء على الصعيد المحلي أو على الصعيدين الجهوي والوطني، ينتظم سنويا مهرجان المرقوم في أواخر أوت علما وانه بلغ اليوم دورته الواحدة و الثلاثين. وعلاوة على هذه الجهود يمكن التنويه بمجهودات بعض الجمعيات الأخرى لتثمين هذا العنصر من خلال إقامة بعض المعارض و إتاحة فرص التكوين لبعض الفتيات على غرار جمعية التنمية المستدامة بوزرف، و جمعية الفردوس بوزرف .

6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر

| | |
|-------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------|
|  |  |
| <p>صورة 2: عنصر رجالي وحيد يمارس العنصر</p> | <p>صورة 1: نسدية النول</p> |
|  |  |
| <p>صورة 4: محاورة إحدى الحرفيات وصاحبة مشروع</p> | <p>صورة 3: التواتر أساس استدامة العنصر: أم بصدد تلقين البنات</p> |



7- هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

اتخذت عمليات جرد العنصر شكل المقابلة المباشرة التي مكنتنا من التحوار مع عديد الحرفيات اللاتي ينشطن بصفة مستمرة في القطاع وأيضا مع بعض العجائز اللاتي سبق وان اشتغلن في قطاع المرقوم حتى تحدثنا عما بقي عالقا في ذاكرتهن من معارف حول المرقوم. ونشير أن البيانات الأساسية وردت على ألسن الآتي ذكرهم:

- القيناوي فايد 85 سنة
- مبروكة الصغير 92 سنة
- حويته صغير 74 سنة
- زهرة كستوري 70 سنة
- حفصية ناصر 70 سنة
- فاطمة بنت المبروك جمال 61 سنة
- عائشة بنت محمد شابير 60 سنة
- سعاد براح 50 سنة
- مبروكة شابير 53 سنة

- جنات اسماعيل 45 سنة
- سماح معاوي 40

8- المصادر والمراجع - المكتوبة

- * Coustilla (L) ; « La teinture végétale à Oudref » In ; Cahier des arts et techniques d'Afrique du Nord N°1 ; 1951-1952 ; PP24 – 40
*Coustillac (L) ; « Note sur la rénovation des tissus traditionnels des la région de Gabés » ; In ;Cahiers des arts et techniques d'Afrique du nord ;N°3 ;Imprimerie de l'ESSOR Tunis ;1954 ;P64-73
*Martel (A) ; « Le commerce maritime du Sud Tunisien (1850 – 1910) » ; In ; cahiers de Tunisie ; 3^{ème} – 4^{ème} trimestre ; 1964 ; p109 -110
*Martel (A) ; Les confins Sahara – tripolitains de la Tunisie (1881 – 1911) ; Tome II ; Presses universitaires de France ; 1965 ; PP128 - 129
Poinsot (L) et Revault (J) ; Tapis Tunisiens – Tissus décorés de Gafsa et imitation ; horizons de France – Paris – 1953 ; PP47-52
J. Revault ; Rénovation des tapis à haute laine et à poil ras de Tunisie ; Ministère de l'économie Nationale ; Tunis, 1955 ; P3

- محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، الجزء الأول، كلية علوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس، 1999. ص 272

- السّمْعِيَّة البصريَّة

- تسجيل مع جنات إسماعيل إحدى حرفيات جمعية دار المرقوم و صاحبة مشروع في المجال.
- ومضة اشهارية للمرقوم.
- التسدية (l'ourdissage)

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

- يوجد جزء هام من المجموعات المتحفية الخاصة بمرقوم وذرف التي تمّ جمعها من طرف باحثي المعهد الوطني للتراث في فترات سابقة وهي موجودة حاليا بمخازن قصر السعيد التابع للمعهد الوطني للتراث بعدما تمّ نقلها من متحف العادات والتقاليد الشعبية بقابس إضافة للمجموعات الخاصة التي يمتلكها أهالي الجهة.
- مداخلة قدمت بمناسبة المنتدى الثالث للمجتمع المدني و التراث في 6ماي 2014 بعنوان "النسيج التقليدي بمدينة وذرف تواتر للمعارف و بحثا عن وظائف".
- برنامج نشاط جمعية دار المرقوم 2017-2020

9- معطيات تقنية حول عملية الجرد - تاريخ البحث الميداني ومكانه

تم القيام بعدد البحوث الميدانية في فترات متباعدة نسبيا أولها يوم 10 ماي 2013 و ثانيها 20 افريل 2014 و ثالثها في 17 جويلية 2016

- جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة

- البشير المنوبي، 62 سنة، أستاذ تعليم ثانوي (اختصاص تاريخ) متقاعد، رئيس جمعية دار المرقوم 98514914.
- رياض بالزاوية، 47 سنة، محافظ تراث، كاتب عام جمعية دار المرقوم 97150580.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

الاثنين 5 سبتمبر 2016.

- محرّر البطاقة

رياض بالزاوية